مداخلة المشاركة في الملتقى الوطني:

المقامة الجزائرية: جدل الحضور والغياب

يوم 29 سبتمبر 2025

جامعة عباس لغرور خنشلة

عنوان المداخلة: "سردية الأنا الساخرة في مقامات ابن حمادوش، المقامة الهركلية أنموذجًا".

مشاركة ثنائية:

الأستاذة المشرفة: د. شافية هلال، أ. محاضر أ

رقم الهاتف: 0672688430

البريد الاكتروني: chafia.helal@gmail.com

طالبة الدكتوراه: وردة قندوز، تخصص أدب عربي قديم.

رقم الهاتف: 0658596518.

البريد الالكتروني: djamin.mohamed@gmail.com

مؤسسة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

مخبر الدراسات الأدبية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم اللغة العربية.

عنوان المحور: المحور الثالث " موضوعات المقامة الجزائرية (النقد الساخر، الرحلة، التصوف، المناظرة ...)"

Presentation Title: "The Narrative of the Satirical Self in Ibn Hamadoush's Maqamat: The Maqama Harkaliya as a Model."

الملخص :

تستعرض المداخلة مفهوم السردية الساخرة وأهميتها في الأدب العربي، بالإشارة لكيفية تجسيدها في المقامات العربية في الأدب العربي القديم عامة وفي مقامات ابن حمادوش خاصة، وذلك من خلال تحليل

أحداث المقامة الهركلية، بم في ذلك بنية الاستهلال، والأحداث الرئيسية التي تعكس الطابع الساخر والتي تبرز الانعكاسات الثقافية والاجتماعية في المقامة، وتسليط الضوء على البنية السردية وكيفية استخدام ابن حمادوش للشخصيات وتركيب الزمان والمكان في بناء السرد وإبراز الأنا الساخرة، والتي تعكس واقع المجتمع وتراثه خلال فترة الحكم العثماني.

الكلمات المفتاحية :السرد الساخر، المقامة، النثر الجزائري.

Abstract :

The presentation explores the concept of satirical narrative and its significance in Arabic literature, highlighting how it is embodied in Arabic maqamat in classical Arabic literature in general and in the maqamat of Ibn Hamadoush in particular. This is achieved through an analysis of the events of the **Maqama Harkaliya**, including the structure of the introduction, the main events that reflect the satirical tone and reveal the cultural and social implications within the **maqama**. The study also sheds light on the narrative structure, Ibn Hamadoush's use of characters, and the arrangement of time and space in constructing the narrative, emphasizing the satirical **self**, which mirrors the reality and heritage of society during the Ottoman rule.

Keywords: Satirical narrative, Maqama, Algerian prose.

مقدمة:

تعد السردية الساخرة من أبرز الأساليب الأدبية التي استخدمها الأدباء في الأدب العربي القديم للتعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي من خلال النقد اللاذع والفكاهة، وقد تمثل المقامات العربية إحدى الأشكال الأدبية التي وظفت السردية الساخرة بشكل بارز، حيث اعتمدت على الحيلة والسخرية لانتقاد الأوضاع الاجتماعية والسلطوية، تمثل المقامات فرصة لفهم تركيب المجتمع، وتفاعلات الأفراد داخل سياقاته المختلفة، لا سيما في فترة الحكم العثماني، ومن بين المقامات التي تمثل هذا النوع من السرديات الساخرة، تبرز مقامات ابن حمادوش التي عكست الواقع الاجتماعي والثقافي في عصره بطريقة متميزة.

تهدف هذه المداخلة إلى استعراض مفهوم السردية الساخرة وأهميتها في الأدب العربي، مع التركيز على تجسيد هذه السردية في المقامات العربية بشكل عام، وفي مقامات ابن حمادوش بشكل خاص، سيتم تحليل

المقامة الهركلية كنموذج أساسي لفهم كيفية استخدام السخرية في بناء النص السردي، مع التركيز على بنية الاستهلال والأحداث الرئيسية التي تحمل الطابع الساخر، وتبرز الانعكاسات الثقافية والاجتماعية في المجتمع العثماني، كما سيتم إظهار دور الشخصيات في المقامة وكيفية استخدام ابن حمادوش للزمان والمكان لبناء السرد وإبراز الأنا الساخرة التي تشكل بوضوح الواقع الاجتماعي والسياسي في تلك الفترة.

تكمن الإشكالية الأساسية في كيفية تجسيد السردية الساخرة في المقامات العربية، وخاصة مقامات ابن حمادوش، ومدى قدرتها على نقل الواقع الاجتماعي والسياسي في فترة الحكم العثماني باستخدام الفكاهة والسخرية، كيف تمكن هذه المقامات من الجمع بين البنية السردية الجادة والطابع الفكاهي؟ وكيف يعكس هذا السرد المجتمع والطبقات الاجتماعية في تلك الحقبة؟

نسعى للإجابة على هذه الإشكالية من خلال تحليل كيفية استثمار ابن حمادوش للأدوات السردية في بناء المقامة الهركلية، وتقديم رؤى نقدية حول كيفية استخدام السخرية كوسيلة فعّالة لنقد الواقع الاجتماعي والسياسي في تلك الفترة.

أولا: تعريف موجز بالسردية الساخرة وأهميتها في الأدب العربي:

السردية الساخرة هي طريقة في السرد تهدف إلى تقديم رؤية ناقدة للواقع من خلال المزج بين الفكاهة والمفارقة، بأسلوب قد يكون مبالغًا فيه أو يعتمد على التهكم اللاذع، وتُستخدم هذه السردية في الأدب كوسيلة لتعرية العيوب الاجتماعية والسياسية بطريقة غير تقليدية، تجذب القارئ وتجعل الرسالة النقدية أكثر تأثيرًا.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "سخر منه وبه سخرا وسِخرا مسخرا وسُخرا بالضم، وسُخرة وسخريّا وسخرية: هزئ به"[1] يوضح الألفاظ المختلفة لكلمة "**سَخِرَ** "ومشتقاتها في اللغة العربية، مشيرًا إلى معاني الاستهزاء والاستهانة، الاختلاف في الحركات يُبرز تنوع الدلالات اللغوية، مما يعكس ثراء العربية في التعبير عن المفاهيم المتقاربة بأساليب متعددة.

وجاء في تاج العروس: " والسخري بالكسر من الهزء وقد يقال في الهزء سُخري وسِخري، ورجل سخرة وضحكة: يسخر بالناس"[2] تعدد صيغ كلمة "**السخرية** "واختلاف دلالاتها، حيث يشير "**السُخري** " و"السِخري" إلى الهزء، بينما يدل "**رجل سخرة وضحكة** "على الشخص الذي يُستهزأ به، هذا التنوع يعكس غنى اللغة العربية في التعبير عن المعاني الدقيقة للاستهزاء.

وجاء في اصطلاح السخرية رغم تعدد المفاهيم ما أورده نعمان محمد أمين طه: " هي طريقة في التهكم المرير والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا"[3] **السخرية اللاذعة** كأسلوب تهكمي يحمل معنى مضادًا لما يُفهم ظاهريًا، مما يجعلها أداة

قوية في النقد والهجاء، كما يشير إلى شدّتها في التأثير، حيث تجمع بين البلاغة والعنف اللفظي، ما يجعلها سلاحًا حادًا في التعبير.

وعرفها عبد النور جبور: " بأنها نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاء للرذائل والحماقات، والنقائص الإنسانية الفردية منها والجماعية كما لو كانت عملية ترصد، وجعلها مثيرة للضحك أو غير ذلك في محاولة للتخلص من بعض الخصال السلبية"[4] **السخرية** كأسلوب أدبي يهدف إلى تسليط الضوء على العيوب البشرية، سواء الفردية أو الجماعية، بأسلوب ناقد قد يكون مضحكًا أو لاذعًا، وتُستخدم كأداة للإصلاح الاجتماعي عبر كشف السلبيات بأسلوب ساخر يثير الانتباه والتأمل.

إذن السردية الساخرة هي أسلوب أدبي يعتمد على تقديم الأحداث والشخصيات بأسلوب تهكمي ناقد، يجمع بين الطرافة والجدية، بغرض تسليط الضوء على ظواهر اجتماعية أو سياسية أو ثقافية بطريقة غير مباشرة، تتميز السردية الساخرة بتوظيف الفكاهة، المفارقات، التضخيم، والتلميح الذكي لتوجيه نقد لاذع دون مواجهة مباشرة.

"وتدل السخرية على سعة المستوى الثقافي للساخر الذي يعتمد وسائط متعددة بعيدة الدلالة"[5] إذا **السخرية** تعكس عمق ثقافة الساخر، إذ تتطلب منه استخدام رموز وإشارات ذات دلالات بعيدة، مما يُظهر قدرته على توظيف المعرفة بأسلوب ذكي وغير مباشر، ليصل إلى المتلقي بطرق متنوعة وفعّالة.

وفي الأدب العربي، لعبت السردية الساخرة دورًا بارزًا في مختلف العصور، نجد من ذلك في الشعر الإسلامي، ما كان مرتبطا بالغضب والهجاء والدم والتعريض قول حسان بن ثابت، في هجائه لبني عبد المدان فقال:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير[6]

وصولًا إلى النصوص النثرية مثل المقامات التي أبدع فيها كتاب مثل بديع الزمان الهمذاني وأبو العلاء المعري في رسالة الغفران والحريري، وقد شكل كتاب الجاحظ (البخلاء) معلما بارزا في فن السخرية في العصر العباسي ومن ثم استمرت في أشكال مختلفة في العصور اللاحقة، بما في ذلك المسرحيات والروايات الحديثة.

تكمن أهمية السردية الساخرة في قدرتها على تقديم قضايا المجتمع بطرح جريء دون إثارة العداء الصريح، مما يجعلها وسيلة فعالة للنقد الاجتماعي والتعبير عن التناقضات التي يعيشها الأفراد، كما تسهم في إثراء اللغة الأدبية من خلال استخدام الأساليب البلاغية المختلفة مثل التورية، والجناس، والتلاعب بالألفاظ، مما يمنحها طابعًا فنيًا مميزًا.

ثانيا: خصائص السردية الساخرة:

1. **التضخيم والمبالغة :**

تعتمد السردية الساخرة على تضخيم العيوب والمفارقات لجعلها أكثر وضوحًا ، ويقصد بها الإفراط في الصفة وهي من محاسن الكلام والشعر، والمبالغة "وتستعمل كثيرا في التنكيت وهي تعتمد على الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة أو العيب المقصود"[7] **السخرية** تُستخدم بشكل شائع في **النكتة**، حيث تعتمد على المبالغة في الوصف وتضخيم العيوب لإبراز المفارقات بشكل فكاهي. وهذا الأسلوب يجعل النقد أكثر وضوحًا وتأثيرًا، مع إضفاء طابع كوميدي يُسهّل تقبّله، ومثال ذلك: تصوير شخصية المخادع في المقامات بصورة مبالغ فيها، حيث يكون شديد الذكاء لكنه يستغله في الخداع بدلًا من الخير.

2. **المفارقة والتناقض:**

والمفارقة كما يعرفها أرسطو:" الاستخدام المراوغ للغة وهي عنده شكل من أشكال البلاغة يندرج تحتها المدح في صيغة الذم، والدم في صيغة المدح"[8] **السخرية البلاغية** كأسلوب لغوي ذكي يستخدم **التناقض الظاهري**، مثل المدح بصيغة الذم أو العكس، مما يجعلها أداة فعالة للتعبير غير المباشر، هذا الاستخدام المراوغ للغة يمنح الخطاب عمقًا ويزيد من تأثيره النقدي والفكاهي في آنٍ واحد.

فتظهر المفارقة في الفرق بين ما يقال وما يقصد به، أو بين مظهر الشخصيات وحقيقتها، "فهي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنا باطنا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنا آخر ظاهر موجها للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول"[9] **فالسخرية** تقوم على **ازدواجية المعنى**، حيث تحمل دلالة خفية يدركها جمهور معين، بينما يظهر للمعنيين بها معنى آخر مباشر، وهذا يجعلها أداة تواصل ذكية، تُستخدم للنقد غير المباشر وإيصال الرسائل بمهارة بلاغية مميزة.

في بعض المقامات نجد المتسول شخصا دو حنكة وفطنة تناقض مستواه المادي، أو قد يكون بخيلا في تعاملاته مع الآخرين رغم ثراءه في الواقع، وهنا ترتبط المفارقة **بالتناقض.**

3. **التلاعب باللغة والأساليب البلاغية:**

ويقصد بها أن يتخذ الأديب الساخر من الكلمات أداة للعب حول المعنى الخفي المقصود والظاهر غير المقصود، أو المعنى العميق والمعنى الظاهر السطحي استخدام السجع، الجناس، التورية، والتلاعب بالألفاظ لإضفاء الطابع الساخر، والكناية أحد أهم وسائل التلاعب اللغوي والمراد بها: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"[10]، أي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في

اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، كاستخدام لغة رسمية راقية في مواقف تافهة أو هزلية لإحداث تناقض كوميدي.

4. التركيز على نقد المجتمع والسلطة:

السردية الساخرة تهدف غالبًا إلى كشف العيوب المجتمعية والسياسية، مثل الفساد، الجهل، الرياء، أو الظلم الاجتماعي، مثال ذلك الشعر الاجتماعي الساخر :" فهو رسالة أخلاقية إصلاحية، يتحدث فيه الشاعر عن مجتمعه، ساخرا من عيوبه ونقائصه من أجل الاعتراف بها ومحاولة تجاوزها، فهو يستخدم شعره لكي ينقد ويعارض"[11] يكمن دور **السخرية في الأدب** كأداة **إصلاح اجتماعي وأخلاقي**، حيث يستخدمها الشاعر لنقد العيوب المجتمعية بأسلوب ساخر، بهدف دفع الناس إلى الاعتراف بها والسعي لتجاوزها، وهكذا تصبح السخرية وسيلة للنقد البناء والمعارضة الهادفة.

لقد كان السرد الساخر وسيلة غير مباشرة للنقد، خوفًا من العقاب السلطوي، "فهي وسيلة ذكية لتنبيه الظالمين المتعجرفين بطريقة غير مباشرة تمكنهم من التخلص منهم، كما يتخذ منها الشعراء سلاحا للمواجهة وطريقة لاسترداد حقوقهم"[12] هنا تظهر كيفية استخدام الأدب، وخاصة الشعر، كوسيلة للتعبير عن رفض الظلم والاضطهاد، بطريقة غير مباشرة ولكن فعّالة، الشاعر يعبّر عن معاناته وآرائه من خلال الكلمات، وهذا يتيح له الفرصة لمواجهة الظالمين دون تعريض نفسه للخطر المباشر، في هذا السياق يمكن اعتبار الشعر سلاحًا ذكيًا، حيث يستطيع الشاعر أن ينقل رسائل قوية تنبه الظالمين والمتعجرفين، وتساهم في تحفيز التغيير، سواء في المواقف الفردية أو المجتمعية، الأداة الأدبية هنا تعمل على إثارة الوعي وتعزيز حقوق الإنسان، مما يجعل الأدب أداة مقاومة حقيقية.

ثالثا: المقامات العربية والسخرية الأدبية:

تُعد المقامات أحد أهم الأجناس الأدبية التي مزجت بين **الفكاهة والبلاغة والنقد الاجتماعي**، حيث لعبت دورًا بارزًا في تقديم صورة حية عن المجتمع بأسلوب ساخر يجمع بين الهزل والجد، وقد نشأ هذا الفن في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث استخدمه الكتاب كوسيلة للتسلية والتثقيف، لكنه كان أيضًا أداة ناقدة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك العصر.

1. دور المقامات العربية في إبراز السخرية كأداة أدبية:

المقامات العربية هي أحد أبرز الأجناس الأدبية التي اعتمدت على السردية الساخرة، حيث نشأت كفن نثري يعتمد على السجع واللغة المزخرفة، ويقدم حكايات مسلية مليئة بالمفارقات والمواقف الكوميدية ذات البعد النقدي، فهي " حكاية قصيرة مسجوعة، قد تتضمن أبياتا من الشعر وقد لا تتضمن، تدور حول مغامرة

بطل واحد ظريف، ذلق اللسان، عالم باللغة، خبير بدقائقها، يكتسب عيشه بالحيلة والكُدية، وهي تزخر بالحركة والحوار والسّجال، وقد تشتمل على ملحة أو طرفة، ويرويها راوية واحد"[13] كون البطل شخصية فريدة من نوعها، يجمع بين الذكاء والقدرة على استخدام اللغة بمهارة فائقة. هذه الحكاية تستفيد من الأسلوب المسجوع الذي يعطيها إيقاعًا موسيقيًا وجمالًا لغويًا، وقد تتضمن أبياتًا من الشعر التي تضفي مزيدًا من الزخم الأدبي على النص، والبطل هنا يبدو كأنه شخص ذكي ومرح، يستطيع بمهاراته اللغوية والحيلة أن يتنقل بين المواقف والأحداث بحكمة وسرعة بديهة، ما يضيف عنصر التشويق والإثارة، الشخصية التي "تكتسب عيشها بالحيلة والكُدية" تعكس نوعًا من البراعة في التكيف مع الظروف المحيطة، مما يجعلها مشوقة وقادرة على جذب الانتباه، فالحركة، الحوار، والسجال هي عناصر أساسية في هذا النوع من الحكايات، حيث تخلق ديناميكية بين الشخصيات وتبني الحكاية بطريقة تجعل القارئ مشدودًا للتفاصيل والمواقف، كما أن الملحة أو الطرفة تضيف نكهة فكاهية، مما يساهم في تعزيز طابع السخرية والمرح الذي قد يميز هذا النوع من الأدب.

وأخيرًا، الراوي الواحد الذي يروي القصة يمنحها طابعًا شخصيًا، حيث يكون هو المتحكم في نقل الأحداث والمواقف، ما قد يسمح له بإضافة لمسة خاصة من الفكاهة أو التعليقات التي تعزز من جذب القارئ.

وقد برع في هذا الفن بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري، وتبعه الحريري الذي أوصل المقامة إلى قمة نضجها الفني.

تُظهر المقامات السخرية من خلال شخصياتها المتكررة، مثل "أبو الفتح الإسكندري" عند الهمذاني و"أبو زيد السروجي" عند الحريري، وهما شخصيتان مخادعتان تعتمد حياتهما على الذكاء اللغوي والحيل الكلامية لخداع الناس وتحقيق المكاسب، هذه الشخصيات ليست مجرد أدوات للضحك، بل هي مرايا تعكس تناقضات المجتمع، حيث تسخر المقامات من الفقر، والجهل، والرياء، وتفضح المظاهر الزائفة للأخلاق والقيم الاجتماعية.

كذلك نجد البناء السردي للمقامات يتيح مجالًا واسعًا لتوظيف السخرية، حيث تبدأ كل مقامة بموقف غريب أو محرج، ثم تتطور الأحداث بأسلوب كوميدي، غالبًا ينتهي بمفاجأة تكشف الخدعة أو المفارقة، " فمقاربة النصوص السردية في التراث العربي لا يمكن أن تتم عبر فصلها عن تموضعها الثقافي، في زمن كتابتها وفي زمن قراءتها، ووعي القارئ النموذجي الذي يلامس إشاراتها ويطورها باعتبار المحكيات السردية نصوصا مفتوحة وليست مغلقة"[14] هنا نجد أهمية فهم النصوص السردية في التراث العربي ضمن سياقها الثقافي والتاريخي، حيث لا يمكن فصلها عن زمن كتابتها أو قراءتها، النصوص السردية تُعتبر مفتوحة ومتجددة، بحيث يتفاعل معها القارئ ويطوّر معانيها وفقًا لواقعه ووعيه، مما يخلق تفاعلًا حيًا بين النص والقارئ، بدلًا

من التعامل معها كأشياء مغلقة ثابتة، هذا النمط جعل المقامات ليست فقط وسيلة للتسلية، بل أداة للنقد الاجتماعي الحاد، مستخدمةً الأسلوب البلاغي والتصويري البديع لتعزيز تأثير السخرية، حتى غدت المقامة: " من أعظم الأجناس الأدبية النثرية في الأدب العربي شأنا، وأطوله عمرا، وأقدره على القيام في وجه الدهر على مدى قريب من عشرة قرون"[15] من أعظم الأجناس الأدبية النثرية في الأدب العربي شأنا، وأطوله عمرا، وأقدره على القيام في وجه الدهر على مدى قريب من عشرة قرون.

2. أسباب انتشار المقامات:

كانت المقامات مناسبة **للمجالس الأدبية** حيث يتم سردها شفهيًا بطريقة مسلية.، وقد يسيطير عليها الخيال غالبا: "فكثيرا ما تتناول أفكارا طريفة لم يسبق إليها كاتب من قبل"[16] وهذا ما يجعلها ذات قالب قصصي، لأن: "القصة في الحقيقة ليست حادثة وأسلوبا فقط، وإنما هي مقومات أخرى كالحبكة والشخصيات والعقدة، وكل ذلك موجود في المقامة"[17] فالقصة ليست مجرد حادثة أو أسلوب بل هي مجموعة من المقومات التي تتكامل لتشكل نسيجها الأدبي، مثل الحبكة والشخصيات والعقدة، وفي المقامة تتوفر هذه المقومات بشكل بارز، حيث يتم بناء القصة حول شخصية محورية تواجه تحديات أو مواقف تُحرك الحبكة وتُطور الأحداث، الشخصيات في المقامة غالبًا ما تكون معبرة عن مواقف اجتماعية أو ثقافية، بينما العقدة تضيف بعدًا تشويقيًا يثير الاهتمام، هذه العناصر تجعل المقامة أكثر من مجرد سرد، بل هي بناء أدبي متكامل يمتلك قدرة على جذب القارئ والتأثير فيه.

استخدمت **للتعليم والتثقيف**، حيث كان الطلاب في المدارس يحفظون بعض المقامات كجزء من دراستهم للبلاغة واللغة العربية، فالمقامات العربية تميزت بالثروة اللفظية ذات الطابع الغريب، مليئة بالمحسنات البديعية والصور البيانية.

كانت أداة **للنقد الاجتماعي**، حيث سلطت الضوء على مظاهر الفساد، مثل **النفاق الديني، استغلال السلطة، الرياء، والتفاوت الطبقي، والحيل والكدية**، " فالمقامات تعتمد أساسا على حيل المكيدين وأخبارهم ومغامراتهم، وكانت هذه الحيل تبلغ مبلغا عنيفا"[18] سلط الضوء على أن المقامات تعتمد بشكل أساسي على حيل المكيدين، التي تكون عادة محورية في سرد أحداث القصة، حيث تكشف عن مغامرات الشخصيات وتفاعلاتها في سياقات متنوعة، هذه الحيل التي تصل أحيانًا إلى عنف مبالغ فيه، تُستخدم لتسليط الضوء على البراعة والفطنة التي يمتلكها الأبطال، وتعكس في ذات الوقت طبيعة التحديات التي يواجهونها، هذا النوع من السرد يضيف عنصر الإثارة والتشويق، ويجعل المقامة تنطوي على مواقف غير متوقعة، حيث تصبح الحيلة أكثر من مجرد وسيلة لتحقيق هدف، بل أداة لانتقاد الأوضاع الاجتماعية والسياسية بأسلوب فكاهي أو ساخر.

رابعا: دور السخرية في المقامات العربية

السخرية في المقامات لم تكن مجرد وسيلة للضحك، بل كانت **أداة نقدية قوية** تعكس تناقضات المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، وتفضح العادات السيئة، وتنتقد الظواهر السلبية بأسلوب غير مباشر.

أ. من أشكال السخرية في المقامات السخرية من الفقر والبطالة:

تعكس العديد من المقامات **معاناة الطبقات الفقيرة**، لكنها تقدمها بأسلوب ساخر يجعل القارئ يضحك بينما يدرك عمق الأزمة، فبديع الزمان الهمذاني مثلا : " اختار نموذجه من الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع، وصور من خلاله ومن خلال حيله التي يكتسب بها الرزق جوانب الحياة التي كانت تسود في عصره، وجاء ذلك في صورة فنية تبعث على التمرد والسخرية من الأوضاع التي كانت قائمة"[19]، يشير إلى أن المقامة اختارت شخصية من الطبقة الدنيا في المجتمع لتكون نموذجًا، ما يعكس رؤية نقدية اجتماعية تهدف إلى تسليط الضوء على الأوضاع السائدة في العصر الذي كُتبت فيه، من خلال حيل هذه الشخصية التي تكتسب رزقها، يعكس السارد بشكل فني حياة الفقراء وطرقهم في التكيف مع الظروف القاسية. هذه الحيل تصبح وسيلة ليس فقط للبقاء، بل أيضًا للمقاومة الرمزية للأوضاع الاجتماعية، مما يضفي طابعًا من التمرد والسخرية على النص، بهذا الشكل تظهر المقامة كأداة نقدية تبرز تناقضات المجتمع وتطرح أسئلة عن العدالة والظلم، بطريقة غير مباشرة لكنها فعّالة، مثل تصوير بطل المقامة كمحتال يستخدم **البلاغة والخطابة لكسب لقمة العيش بدلًا من العمل الشريف**، مما يسخر من الواقع الذي يجعل الحيلة أهم من الجهد الحقيقي.

ب- تأثير السخرية في المقامات:

- جعلت السخرية **المقامات أكثر جاذبية للجمهور**، حيث أحب الناس متابعة مغامرات الشخصيات الماكرة.
- سمحت للكتاب بتمرير **نقدهم للمجتمع والسلطة دون إثارة غضب الحكام.**
- ساهمت في **تنشيط اللغة العربية وإثرائها بأساليب بلاغية متنوعة.**

خامسا: ابن حمادوش والسردية الساخرة في "المقامة الهركلية":

ابن حمادوش الجزائري هو عبد الرزاق بن محمد، أحد الأدباء الذين برعوا في فن المقامات خلال فترة الحكم العثماني، ولد سنة 1107هـ خلال ق 18م، توفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين، عرف برحلته "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"[20] حيث استخدم هذا الفن ليعكس واقع المجتمع الجزائري في زمنه، عُرف بأسلوبه النقدي اللاذع الذي وظّف السخرية لنقد الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية في عصره، وكان له القدرة على استخدام اللغة ببراعة لخلق مفارقات ساخرة تجعل القارئ يبتسم، وفي الوقت نفسه يتأمل في المعاني العميقة التي تحملها كلماته.

تُعد "**المقامة الهركلية** "واحدة من أبرز مقامات ابن حمادوش، حيث تجسد النموذج الكلاسيكي للمقامات العربية لكنها تحمل طابعًا ساخرًا أكثر وضوحًا يعكس الأوضاع الاجتماعية في ظل الحكم العثماني، في هذه المقامة يوظف ابن حمادوش عناصر السردية الساخرة من خلال:

- **الاستهلال الطريف** الذي يجذب انتباه القارئ ويمهد لجو السخرية.
- **الشخصيات المتناقضة** التي تعكس التباين الطبقي والاجتماعي.
- **المواقف المبالغ فيها** التي تسلط الضوء على تناقضات المجتمع.
- **استخدام الزمان والمكان** كأدوات لخلق المفارقات السردية.
- **الأنا الساخرة** التي تظهر من خلال السارد، والتي تعكس نقده اللاذع للواقع.

أهمية هذه المقامة تكمن في قدرتها على تقديم صورة نابضة بالحياة عن المجتمع الجزائري في ذلك الزمن، إذ تصور الفساد، النفاق الاجتماعي، والاستغلال الطبقي بأسلوب ساخر يجعل القارئ يتفاعل مع النص على مستويات متعددة، ما بين الضحك والتفكير النقدي العميق.

ج. أهمية السردية الساخرة في مقامات ابن حمادوش:

- ساعدت السخرية الأدبية على **تمرير النقد بذكاء دون التعرض لعقوبات مباشرة.**
- كانت المقامات وسيلة **للتوعية الاجتماعية والأخلاقية** لدى عامة الناس، إذ سلطت الضوء على **فساد بعض أفراد المجتمع، منهم الرجال المحتالون وبائعات الهوى، والتفاوت الطبقي بين هؤلاء** بأسلوب ساخر وممتع.

د. تحليل "المقامة الهركلية"

تعتبر "المقامة الهركلية" نموذجًا رائعًا للسردية الساخرة، حيث يسخر ابن حمادوش من الأوضاع الاجتماعية بأسلوب **لغوي متقن مليء بالمفارقات والمبالغات الطريفة.**

أ- بنية الاستهلال: كيف يُمهد السرد للطابع الساخر؟

- يبدأ ابن حمادوش مقامته بأسلوب **يجذب القارئ ويهيئه لطابعها الساخر**، فيقول: "وفي يوم الأحد ألفت المقامة الهركلية، وهي : الحمد لله حدى بي حادي الرحلة إلى أن دخلت في بعض أسفار هركلة، فنزلت بها في خان، كأنه من أبيات النيران، أو كنائس الرهبان، بل لاشك أنه من أبيات العصيان، فلذلك لا يسر به الناظر، ولا ينشرح له الخاطر، فاختصصت منه بحجرة أو نقرة في حجرة..."[21] تبدأ المقامة بحديث عن رحلة قام بها الكاتب، حيث يصف مكانًا يُحتمل أنه خان أو نزل به، ويصفه بشكل مبالغ فيه وتهكمي، بأنه يشبه "أبيات النيران" أو "كنائس الرهبان" أي مكانًا يعكس الفوضى والخراب، ثم يوضح أنه لم يشعر بالراحة في هذا المكان، بل اختار أن يقيم في مكان صغير داخل الخان، وهو ما يعكس ببراعة الأسلوب الساخر في المقامة، ونجده يستخدم :

- **الأسلوب الخطابي المبالغ فيه** الذي يُوحي بأن القصة ستكون ذات مغزى عظيم، لكنه يكشف لاحقًا أنها مجرد تهكم على الواقع، وهو ما أورده بذكر يوم كتابته للمقامة (الأحد) وعنوانها (الهركلية)، والاستفتاح (بالحمد) ثم ينتقل مباشرة لوصف الخان بأنه بيت (النيران).
- **اللعب بالكلمات والجناس والسجع** لإضفاء نغمة فكاهية تجعل القارئ يدرك أن هناك مفارقة ضمنية في السرد. في قوله: " فغلقت بابي، لأحفظ حبائي، وأومن جنابي، من شدة أتعابي، وكذلك كل من أصحابي..."[22] عكس أسلوبًا ساخرًا ومبالغًا فيه، حيث يتحدث السارد عن اتخاذ احتياطات للحفاظ على ممتلكاته وحمايتها من التعب والمشاكل، بل ويشمل ذلك أيضًا أصحابه، هذه الصورة تعكس نوعًا من الانغلاق والحذر الزائد، وتُظهر تهكمًا على القلق المفرط والاستعداد المبالغ فيه لمواجهة التحديات.
- **تقديم شخصية الراوي بأسلوب ساخر**: والراوي هو ابن حمادوش نفسه، حيث يبدو وكأنه ينقل قصة حكيمة، لكنها في الواقع مليئة بالمواقف الهزلية. يقول: " إلى أن دخلت في بعض أسفاري هركلة، فنزلتها في خان، كأنه النيران..."[23] وهو الراوي وبطل القصة الشاهد على أحداثها المعايش لها ولظروفها المحيطة بها.

ب- الأحداث الرئيسية: المواقف الساخرة ودورها في النقد الاجتماعي

- تتناول "المقامة الهركلية" قصة بطل **متعب من السفر فصيح اللسان**، لا يتمكن من النوم بسبب الضوضاء في جوف الليل بين جار له في الخان مع أحدى بائعات الهوى والتي لم يسدد لها حقها.

يقول: " **وإذا بجاري بيت بيت يحاسب قينة على كيت كيت، وهي تقول له: فعلت كذا كذا فعله، وتدفع أجر فعله**"[24] تصور مشهدًا يعكس التفاعل بين شخصين، أحدهما جار والآخر قينة (خادمة أو جارية)، الجار يقوم بمحاسبة القينة على تصرفات أو أفعال معينة (يُشار إليها بـ "كيت كيت" كناية عن أشياء أو أفعال محددة)، وفي المقابل، الجارية تُجيبه وتبرر تصرفاتها، مشيرة إلى أنها قامت بما فعلته بناءً على ما هو متوقع منها، أو بناءً على اتفاق مسبق يتعلق بالأجر مقابل فعلها.

المشهد يظهر نوعًا من الرقابة والمحاسبة على الأفعال، ويكشف عن صراع في التفاهم بين الشخصين، كما يمكن أن يُفهم كنوع من السخرية أو النقد الاجتماعي لأوضاع معينة، مثل العلاقة بين الخدم وأربابهم، أو التفاعل بين الطبقات الاجتماعية.

- يمر البطل ابن حمادوش بمواقف عديدة يسخر فيها من:

1. **الخان الحقير الذي بات ليلته فيه:** "فنزلت بها في خان كأنه من أبيات النيران، أو كنائس الرهبان، بل لا شك أنه من أبيات العصيان."[25] بل تأكد عندما استيقظ من نومه بسبب الفوضى أنه فعلا بيت خلاعة فقطع الشك باليقين في الحديث الذي دار بين النزيل والجارية.

2. **نزلاء الخان ورواده:** الذين يُصدرون الضجيج دون مراعاة لحرمة باقي نزلاء الخان ولو كان الوقت متأخرا، يقول: "حتى مد الليل جناحه وأوقد السماء مصباحه.، وهدأت الأصوات، وصرنا كالأموات،... فلم يوقظني إلا جلبة الأصوات وتداعي القينات والتدافع بمنع وهات..."[26] العبارة تستخدم صورًا شعرية للتعبير عن تحول الليل من فترة هدوء وسكون إلى لحظة صاخبة، "مد الليل جناحه" و"أوقد السماء مصباحه" تعبران عن حلول الليل بشكل تدريجي، حيث يمتد الظلام وتُضاء السماء بالنجوم كما لو كان الليل يحمل جناحيه ويمسك المصباح في السماء، ثم ينتقل الوصف إلى "هدأت الأصوات" و"صرنا كالأموات"، حيث يشير إلى السكون التام الذي يعم المكان، وكأن كل شيء قد توقف أو خمد، مما يخلق إحساسًا بالراحة أو الموت الرمز، لكن "جلبة الأصوات" و"تداعي القينات" تثير الفوضى من جديد، حيث تبدأ الأصوات بالصخب، وتحدث حركة غير منظمة، فيحاول السارد العودة للوعي وسط هذه الفوضى التي تحدث بسبب التدافع بين الناس أو الشخصيات.

3. **الجارية الوقحة:** وهي تقول للزبون الذي لم يدفع لها الأجرة: فو الذي سهل علي السفاح، ونصبني لكل من أراد النكاح، لا برحت حتى الصباح، على وجه وقاح، وتدفع المهر بلا سماح"[27] قول الجارية يعكس موقفًا تهكميًا وساخرًا، حيث تتحدث عن وضعها بطريقة مبالغ فيها، "سهل علي السفاح" تشير إلى أن الجارية تقر بأن ما تعرضت له كان أمرًا مشينًا أو

غير أخلاقي، "تصبني لكل من أراد النكاح" تعني أنها كانت تستخدم كأداة لتحقيق رغبات الآخرين، ربما في سياق اجتماعي غير عادل، "لا برحت حتى الصباح" تعني أنها استمرت في هذا الوضع طوال الليل، بينما "على وجه وقاح" تشير إلى أنها كانت تفتقد الحياء أو الاحترام في تعاملها مع تلك المواقف، وأخيرًا "وتدفع المهر بلا سماح" تعني أنها كانت تُجبره على دفع المهر حتى دون رضاه، العبارة تحمل طابعًا من السخرية والانتقاد للظروف التي تعرضت لها الجارية، مما يعكس تعرضها للاستغلال في مجتمع غير عادل.

4. **انبلاج الصبح ومغادرته الخان:** دون أن يعرف من هو جاره الذي ايقظه من نومه، والذهاب دون عودة للخان الذي وجده من أسوء الأماكن التي بات فيها لياليه خلال رحلته، يقول: " شددت الرحال، وتهيأت للترحال، وامتطيت مطيتي، وأخذت في طيتي، متوكلا على الرحمان ، أن أبلغ المأمن بالأمان، ثم أنشد أبياتا شعرية ..."[28] ليغادر بعد ليلة متعبة الخان وهو يحمل في ذاكرته موقفا مجتمعيا أسفا عليه.

ج- البنية السردية: توظيف الشخصيات، تركيب الزمان والمكان

1. الشخصيات في المقامة

- **البطل (ابن حمادوش الفصيح):** شخصية نمطية في المقامات، يستخدم ذكاءه اللغوي لإيصال مشاهداته ورأيه للناس.
- **النزيل الفاسد** البخيل: شخصية ثانوية سلبية محركة للأحداث أفسدت نوم البطل وأفسدت عمل الجارية وهدوء الخان بنزلائه.
- **الجارية بائعة الهوى:** التي تظهر بكل وقاحة وعلى مسمع الجميع دون تورع سعيها وراء المال.

.2تركيب الزمان والمكان

- **الزمان:** محدد بدقة يوم الأحد ليلا والذي يُوحي بأنه خلال العصر العثماني في قوله: " فلما ظهر لواء الترك العجم"[29]، مما يجعل القصة **قابلة للتصديق.**
- **المكان:** موضح بدقة في **مدينة هركلة ويقصد بهذا الوصف الهرج،** حيث تجري الأحداث في **خان بمدينة مكناس،** وهو مكان يعكس الحياة العامة ويظهر التناقضات الاجتماعية والفساد الاجتماعي المنتشر عندئذ.

د- الأنا الساخرة و كيف تعكس رؤية الكاتب للمجتمع؟

- يظهر ابن حمادوش في النص **كراوٍ ناقد يتحدث بلسان ساخر**، يعكس **عدم ثقته بالمجتمع ومرافقه.**
- يُكثر من استخدام **التضخيم والمبالغة** لإبراز مدى فساد الطبقة الاجتماعية.
- يسخر حتى من المكان ومرتاديه ومن نفسه أيضا لأنه وقع فيه ورأى ما رأى من قلة الحياء والعبث والفساد الاجتماعي.

هـ- الانعكاسات الثقافية والاجتماعية: كيف تجسد المقامة واقع العصر العثماني؟

- **تعكس "المقامة الهركلية" الواقع المغاربي خلال الحكم العثماني، حيث كان الفساد منتشرًا، والطبقية واضحة، والمنافقون مسيطرين.**
- تعبر عن **غضب الراوي الكاتب للمقامة من فساد الأخلاق الذي مارسه الشعب خلال الحكم العثماني وأخلاق بعض السكان المحليين.**
- تسلط الضوء على **ظاهرة البخل والجشع والفساد الأخلاقي سواء كان للرجل أو للمرأة** ، حيث يعيش البسطاء في معاناة بينما يستمتع البخلاء الجشعون وبائعات الهوى في لياليهم دون رادع يردعهم على مرأى ومسمع الجميع.
- تكشف كيف أصبحت **الفصاحة والخطابة أداة لتسليط الضوء على ظواهر اجتماعية سلبية، من أجل أن تكون وسائل لنشر المعرفة والحق.**

خاتمة

- استخدم ابن حمادوش **السخرية كأداة نقدية قوية في "المقامة الهركلية"**، حيث سلط الضوء على الفساد الاجتماعي والأخلاقي بأسلوب فكاهي يجذب القارئ لكنه يجعله يتأمل في معانيه العميقة
- تعكس المقامة **الطابع الطبقي والظلم الاجتماعي خلال الحكم العثماني**، وتبين كيف كانت **اللغة والخطابة أدوات لتحقيق العدالة.**
- لا تزال هذه المقامة **ذات صلة حتى اليوم، حيث يمكن أن نجد نماذج مشابهة من الفساد والنفاق في مجتمعات معاصرة**، مما يجعلها مثالًا خالدًا على **قوة السردية الساخرة في الأدب العربي.**

تُبرز هذه الدراسة أهمية **السردية الساخرة** في الأدب العربي، حيث أثبتت أنها ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة قوية للنقد الاجتماعي والأخلاقي، من خلال تحليل "**المقامة الهركلية**" **لابن حمادوش**، يتضح أن

السخرية كانت وسيلة فعالة لمواجهة الفساد الاجتماعي والأخلاقي والتفاوت الطبقي خلال العصر العثماني، حيث تمكن الكاتب من **إيصال رسائله النقدية بذكاء ودون مواجهة مباشرة مع السلطة.**

أهم النتائج:

1. **السردية الساخرة في الأدب العربي**

- كانت السخرية جزءًا أساسيًا من المقامات العربية، حيث استخدمها الأدباء لنقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية.
- اعتمدت على **التضخيم والمفارقة اللغوية والتلاعب بالكلمات** لإبراز التناقضات في المجتمع.

2. **فن المقامات ودوره في إبراز النقد الاجتماعي**

- المقامات لم تكن مجرد قصص مسلية، بل كانت تعكس **واقع المجتمع وتفضح مظاهر الفساد والنفاق بأسلوب فكاهي مؤثر.**
- أسهمت في **إثراء اللغة العربية وتعزيز البلاغة من خلال التلاعب بالألفاظ والسجع والجناس.**

3. **ابن حمادوش والسخرية في "المقامة الهركلية"**

- استخدم ابن حمادوش **الشخصيات النمطية مثل المحتال، المرأة الفاسدة،** ليعكس المشاكل الاجتماعية لعصره.
- اعتمد على **بنية سردية قوية تجمع بين الفكاهة والنقد الحاد،** مما جعل نصه ممتعًا وذا دلالات عميقة.
- عكست المقامة **الواقع الاجتماعي والأخلاقي لبعض طبقات المجتمع خلال الحكم العثماني،** حيث سلطت الضوء على الاستغلال الطبقي والتمييز الاجتماعي.

القيمة الأدبية للمقامة الهركلية

تُعد "المقامة الهركلية" نموذجًا بارزًا لالتقاء **السرد الفني بالنقد الاجتماعي،** مما يؤكد أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل هو **أداة قادرة على التأثير فيه وكشف تناقضاته،** ولا تزال هذه المقامة ذات **صلة في العصر الحديث،** حيث يمكن إسقاط العديد من رسائلها النقدية على الأوضاع الراهنة في المجتمعات المختلفة.

توصيات لدراسات مستقبلية

- تحليل المزيد من المقامات التي استخدمت السخرية لنقد الأوضاع الاجتماعية في الفترات التاريخية المختلفة.
- دراسة تأثير **المقامات الساخرة** على الأدب العربي الحديث، وخاصة في الرواية والمسرح.
- مقارنة "المقامة الهركلية" بمقامات أخرى لمعرفة مدى تطور أساليب السرد الساخر عبر العصور.

ختامًا، تُثبت هذه الدراسة أن الأدب الساخر، رغم طابعه الفكاهي، يحمل بين سطوره قضايا جادة، ويظل وسيلة قوية للتعبير عن هموم المجتمع ومقاومة الفساد بأسلوب غير مباشر لكنه مؤثر.

قائمة المصادر والمراجع وهوامش البحث:

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان، مج 04، ص: 353.

[2] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ج11، ص 523.

[3] نعمان محمد أمين طه : السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار التوفيقية طباعة الأزهر، ط1، 1978، ص: 54.

[4] عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط2، 1984، ص: 132.

[5] شمسي واقف زاده: الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية ، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر ص03.

[6] حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عيدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1994، ص: 129.

[7] حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت، ص: 44.

[8] نبيلة إبراهيم: فن القصفي النظرية والتطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، د ط، دار قباء للطباعة، مكتبة غريب، ص: 197.

[9] خالد سليمان: المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، ط 1، دار الشروق، 1999، ص: 14.

[10] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة مطبعة المدني بالقاهرة مصر، ط 3، 1992، ص:66.

[11] عبد الرحمان محمد محمود الجبوري: السخرية في شعر البردوني، المكتب الجامعي الحديث، كركوك العراق، ط1، 2011، ص: 77.

[12] شمسي واقف زادة: الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية، ص: 105.

[13] علي عبد المنعم عبد الحميد : النموذج الإنساني في فن المقامة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر الجيزة، ط1، 1994، ص، 16.

[14] يوسف إسماعيل : محكيات السرد العربي القديم، مقاربة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا، دط، 2008، ص: 11-12.

[15] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، سلسلة ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 1998، ص: 2.

[16] عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الوطن العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر العاصمة، ط 1، 1980 ص: 507.

[17] عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الوطن العربي، ص: 478.

[18] المرجع السابق، ص: 313.

[19] علي عبد المنعم عبد الحميد: النموذج الإنساني في أدب المقامة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر الجيزة مصر، ط 1، 1997، ص:51.

[20] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري : رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق د ابو القاسم سعد الله، عن وزارة الثقافة الطباعة الشعبية للجيش الجزائر، 2007.

[21] عبد الرزاق ابن حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري ، ص: 78.

[22] المرجع السابق، ص: 79.

[23] المرجع السابق، ص: 78.

[24] المرجع السابق، ص: 79.

[25] المرجع السابق ، ص: 79.

[26] المرجع نفسه، ص:79.

[27] المرجع السابق، ص: 79.

[28] المرجع السابق، ص: 79.

[29] المرجع السابق، ص: 79.